دوافع الغزو الصليبي وأثرها على بلاد الشام

م.د. توفيق دواي موسى الحجاج

جامعة البصرة– كلية الآداب

المقدمة:

كان الغزو الصليبي للأراضي العربية و احتلالهم لأهم مدنها ومعاقل المسلمين فيها , الأثر البالغ على الوضع العربي , ومن أهم هذه المدن , (القدس الشريف) , وذلك لما تتمتع به هذه المدينة من مكانة في تاريخ المسلمين , السبب الذي دفعهم إلى مقاومة هذا الاحتلال و الجهاد من أجل طرد المحتل والذي بات فرضا واجبا لابد منه , وواجب على كل من آمن بشريعة الإسلام وثوابت الدين والتاريخ ونتيجة لهذه التحديات والصراعات , برز القائد التاريخي صلاح الدين الأيوبي[1] , الذي بدأ يعد العدة للجهاد والتحرير منذ أوائل سنة (570هـ) , ففي سنة (571هـ) قام بمراسلة الخلافة العباسية , كذلك القادة و الأمراء العرب و المسلمين قائلا : ((أن المصلحة بادية و المنفعة جامعة و اليد قادرة و البلاد قريبة و الغزوة ممكنة و المسيرة ممكنة و الخيل مستديمة و العساكر كثيرة))[2] . فكان تفكيره قد انصب في اتجاه واحد ألا وهو طرد الغزاة و تحرير أرض المسلمين .

وعندما حاول الفرنج عقد الصلح معه رفض قائلا : ((متى صالحناهم لم نؤمن غائلتهم ولو حدث بي حادث الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر وتقوى الإفرنج والمصلحة أن لا نزول عن الجهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتينا الموت))[3] .

ويعد الغزو الصليبي من أهم الفترات التاريخية بالنسبة للشرق و الغرب على السواء نظرا لان هذه الفترات مليئة بالحوادث , و الوطن العربي لا يزال يعاني من هذه الهجمة لحد ألان و التي كانت ضحيتها (فلسطين) .

من هذا المنطق أجد أهمية في دراسة دوافع الغزو الصليبي وأثرها على بلاد الشام والتي ظهرت حكام وقادة حروب تمكنوا من التوحد وتشكيل جبهات موحدة , في الوقت الذي ضعفت فيه السلطة المركزية في بغداد , وكان من بين هؤلاء القادة , عماد الدين زنكي[4] , وصلاح الدين الايوبي , والملك الأشرف بن قلاوون[5] والظاهر بيبرس[6] .

المبحث الأول

الغزو الصليبي على بلاد الشام

سكن العرب بلاد الشام منذ زمن بعيد يمتد إلى ما قبل الميلاد بعدة قرون , فقد خرجت هجرات من شبه الجزيرة العربية وهي الموطن الأصلي لسكان المنطقة , ومن هذه الهجرات التي استقرت في بلاد الشام الكنعانيون[7] الذين سكنوا في فلسطين , ثم جاءت هجرة أخرى وهم العموريون[8] من بعدهم استوطنوا أواسط سوريا ولبنان والى جنوب فلسطين .

ولما تقدمت الجيوش العربية الإسلامية نحو بلاد الشام لتحريرها من أيدي البيزنطيين في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) والخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رحب العرب في بلاد الشام بإخوانهم عرب الجزيرة العربية , فكان النصر لهم في معركة اليرموك سنة (13هـ/634م) وهزم الروم وتحررت بلاد الشام كلها من نفوذهم[9] . وفي عام (41هـ) انتقلت عاصمة الخلافة إلى بلاد الشام , ومن هناك خرجت الجيوش العربية الإسلامية لمقاتلة الإمبراطورية الفارسية في الشرق و البيزنطية في بلاد الشام , وعند قيام الدولة العباسية (132هـ) وانتقال مركز الخلافة إلى بغداد , وبعد مضي فترة زمنية اشتد النزاع بين العباسيين في بغداد والفاطميين في مصر تهيأت الظروف لقيام عدد من الدويلات والإمارات العربية في هذه المنطقة (أي بلاد الشام والجزيرة الفراتية)[10] .

فأقام بنو حمدان[11] دولتهم في الموصل[12] وحلب[13] , كما أقام بنو عقيل[14] دولتهم في الموصل , وامتد نفوذها إلى أجزاء من بلاد الشام[15] .

دوافع الغزو الصليبي

اختلف المؤرخون حول أسباب الغزو الصليبي أو الحروب الصليبية , كما اختلفوا في بداياتها وعدوه حلقة صراع قديم ما بين الشرق والغرب , كما لم يكن السبب الرئيسي هو سبب ديني فقط .

فمنهم من اعتبره صراع ما بين حضارتين هما حضارة الشرق وحضارة الغرب , ومنهم من اعتبره حلقة لسلسلة الهجرات التي صاحبت سقوط الإمبراطورية الرومانية ويرى آخرون أن الحروب الصليبية هو عملية أحياء ديني بدأت في غرب أوروبا في القرن العاشر الميلادي , وعزز هذا الرأي بان الدعوة للغزو

الصليبي بدأت سنة (488هـ–1095م) وهو استمرار لحركة الجمع الجماعي إلى بيت المقدس الذي كانت بدايته حجا سياسيا ثم أصبح حربيا فيما بعد[16] .

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الغزو الصليبي عبارة عن حركة كبرى ظهرت في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى , و قد اتخذت طابعا هجوميا حربيا على المسلمين وخاصة بلاد الشام بقصد السيطرة على مقدراتها , وكان ظهور هذه الحركة ناتج عن طبيعة الأوضاع الفكرية و الاقتصادية و المدنية التي سادت غرب أوروبا في القرن الحادي عشر وقد أوجد الصليبيين ذريعة لهذا الغزو , اضطهاد المسلمين لنصارى الشرق و التعبير عنها تعبيرا علنيا واسع النطاق[17] .

وقد ساعد على هذا الغزو حالة الضعف التي سادت بين المسلمين في تلك الفترة وكان من أسبابها الانقسامات الداخلية و الاضطرابات فنلاحظ كانت الخلافة العباسية في بغداد تخضع لسيطرة السلاجقة[18] , والدولة الفاطمية في القاهرة ليس بأحسن حال من بغداد بسبب أطماع الأمراء و الانقسامات.

وخلاصة القول : يمكن أجمال دوافع الغزو الصليبي إلى ما يلي :

1- **الدافع الديني** :

لا يمكن اعتبار العامل الديني احد الدوافع الرئيسية للغزو الصليبي , بل هناك دوافع أساسية أخرى , كالسياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الحضارية , بالرغم أن القائمين على الغزو الصليبي أعطوا الجانب الديني دورا مهما بحجة أن النصارى في البلاد الإسلامية يتعرضون إلى اضطهادات وحشية من قبل الحكام المسلمين , وان هذا الادعاء باطل غير صحيح ولا ينسجم مع روح الإسلام وطبيعة الدعوة إليه خاصة و إن الشريعة الإسلامية شملت أهل الكتاب برعاية خاصة واضحة ومما يؤكد ذلك حياة ومعيشة أهل الذمة في ظروف عيش كريمة في ظل الدولة العربية الإسلامية منذ قيامها وحتى احتلال المغول لعاصمة الدولة الإسلامية بغداد (656هـ- 1258م) , فقد سمح لأهل الكتاب من تشييد كثير من الكنائس في جميع أرجاء الدولة العربية الإسلامية دون أن يتدخل أحد في شؤونهم الخاصة , كما سمح لهم من أشغال بعض المناصب الإدارية و العلمية في الدولة الإسلامية[20] .

وقد كان غالبية سكان بلاد الشام في القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي شيعة ومعظمهم من إتباع المذهب الاثني عشري – وكان بين الشيعة بعضا من الإسماعيلية في الشمال والجنوب[21] وبعضا من الدروز في شمال غربي حلب ووادي التيم[22] , وكان هناك النصيرية[23] في تل بهراء[24] – العلويين ألان – وكان السنة يقطنون في المدن الكبرى وكان جنوب بلاد الشام أكثر منهم في

الشمال وكالعادة وجد نزاع حاد بين الجماعات الإسلامية هذه , وكان هذا النزاع من الأسباب التي زادت من تجزؤ بلاد الشام عمقا وقوته ضعفا , وبالإضافة للمسلمين وجد في المدن الكبرى كدمشق وحلب طائفة لا بأس بحجمها من اليهود , وكانت النزاعات مستمرة حيث كان النصارى منتشرون في ريف دمشق ومدنه الكبرى , وكانوا كثرة مؤثرة في شمالي البلاد وغربها وكان بعض هؤلاء النصارى من أصل ارمني , ولم تكن العلاقات بين النصارى و اليهود و المسلمين دائما سلمية , بل غالبا ما توفرت أسباب الخلاف ووجد النزاع , و أن قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام أدى إلى بعض ردود الفعل العنيفة ضد النصارى الشاميين[25] .

ورغم أن كثيرا من دعاة الغزو الصليبي في غرب أوروبا دعوا لهذا الغزو بحجج واهية , وكان من أبرزها سوء أحوال المسيحيين في تركيا وبلاد الشام الخاضعة لحكم السلاجقه , إلا أن كتابات بعض المؤرخين الأوروبيين تؤكد عكس ذلك حيث قالوا وبصراحة[26] : أن المسيحيين في بلاد الشام كانوا يعيشون أفضل حالا في ظل الدولة الإسلامية من أسلافهم الذين عاشوا في ظل الدولة البيزنطية , و إن الضرر الذي أصابهم ناتج من الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين . ومع ذلك لا يمكن إهمال الدافع الديني في تحريك الغزو الصليبي , فقد عمل رجال الدين المسيحي وعلى رأسهم البابا أوريان الثاني على فكرة الاضطهاد الخاطئة و استغلالها للدعاية لغزوهم[27] .

وقد أثرت الكنيسة لما لها من سلطان على قلوب الناس في غرب أوروبا على الدعوة لهذه الغزوات وخاصة أن الكنيسة تتمثل في شخص زعيمها البابا هي التي دعت للغزو سنه (1095م) حيث ترتب على هذه الدعوة خروج الناس أفواجا في حملات كبيرة ومتلاحقة إلى المشرق العربي وبصورة منتظمة , فضلا عن ذلك , فان البابوية كانت ترغب في إخضاع الكنيسة الشرقية لزعامتها , فعندما استنجد البيزنطيون بالغرب المسيحي ضد السلاجقة وجد البابا فرصته الفريدة لتحقيق ذلك وإخضاع الكنيسة الشرقية المتمثلة بالدولة البيزنطية بالكنيسة الغربية المتمثلة بروما تحت ستار محاربة المسلمين , أما عامة الناس فقد استجابوا لنداء البابا وخرجوا إلى بلاد الشام ليس بسبب الدافع الديني فحسب , وإنما لتحقيق الأطماع الشخصية إلى جانب الخلاص من حالة الفقر التي كانوا يعيشونها في ظل نظام الإقطاع البغيض , أو الهروب من دولتهم , أو لتحقيق مكاسب سياسية و اقتصادية في البلاد الإسلامية .

وعلى الرغم من الدوافع الكثيرة التي خرج من تحقيقها الصليبيون في بلاد الشام , فأن الروايات التاريخية على اختلافها تشير إلى أن أوروبا رفعت راية الصليب ضد المسلمين , و أن رجال الدين كانوا يثيرون رجال حربهم بالخطب الحماسية ضد المسلمين بشعار أن هذه أرادت الله[28] .

2- **الدافع الاقتصادي**:

للعامل الاقتصادي أثر كبير في ظهور الكثير من الغزوات و الهجرات في التاريخ البشري , نظرا لسوء الأحوال الاقتصادية , وكان من أبرز ما حدث في أوربا عامة و فرنسا خاصة خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي الغلاء في المواد اللازمة للمعيشة , لذا نجد الكثير من الفرنسيين اندفع للاشتراك في الغزو الصليبي أكثر من بلدان أوروبا الغربية , إذ لجأ الناس في أوربا إلى أكل النباتات مباشرة , وهدد الفقر و المجاعة الكثير منهم , أضف إلى ذلك كثرة الحروب الأهلية و تنافس الأمراء الإقطاعيين على السلطة , الأمر الذي أخر التجارة و الزراعة , لذلك اعتبر غزو بلاد الشام مخرجا للفقراء والجياع للهروب من واقع يسبب الموت لطلب الحياة في بلاد الشام والخلاص من الأوضاع المعاشية السيئة التي كانوا يمرون بها آنذاك(29) .

ومما يؤكد أثر الجانب الاقتصادي في الغزو الصليبي أن السفن التجارية في أوربا و خاصة في ايطاليا ساهمت في حركة الغزو من خلال نقل المؤن و المعدات الصليبية إلى بلاد الشام إلى جانب مساعدتهم في الاستيلاء على الموانئ العربية لبلاد الشام و تقديم المعونات البحرية لحمايتها من هجمات الأساطيل الإسلامية , و قد قدمت الأساطيل التجارية للمدن الايطالية وخاصة البندقية مساعدات كثيرة لتحقيق الصلة بين الغرب الأوربي وبلاد الشام التي استولى عليها الصليبيون(30) .

ونتيجة لهذه الخدمات حصلت هذه المدن على امتيازات اقتصادية و تجارية في معظم موانئ بلاد الشام ومدنه الكبرى , وتم أنشاء أسواق وفنادق خاصة بتجار المدن الايطالية .

وبناء على ما تقدم يمكن القول أن الغزو الصليبي منذ البداية كان ذو صبغة دينية , و أن معظم هؤلاء الغزاة الذين اشتركوا في هذه الحركة لم يأتوا لخدمة الصليبيين و إنقاذ القدس كما كانوا يزعمون , وإنما كانوا يبحثون عن الأموال وإقامة المستعمرات والمراكز التجارية الخاصة بهم في قلب الوطن العربي , بهدف استغلال موارده والحصول على ثرواته , ومما يؤكد ذلك التأثير الواسع للنزعة الاقتصادية في أذهان الكثير ممكن أسهموا في الغزو , مما نشأ بينهم منازعات ومخاصمات أدت إلى حروب أهلية بين بعضهم البعض في بلاد الشام بحيث فشلت كافة الدعوات التي قام بها رجال الدين والباباوات الصليبيين المتنازعين أمام توحد المسلمين الذين اخذوا يجمعون شملهم في المنطقة(31) .

3- **الدافع الاجتماعي** :

ساد المجتمع الأوربي في العصور الوسطي تمايز طبقي كبير , فقد أمتاز بالدرجة الأولى رجال الدين كطبقة ومن ثم طبقة المحاربين من النبلاء و الفرسان , أما الطبقة الكبرى و المغلوب على أمرها هي طبقة رجال الدين و طبقة المحاربين من النبلاء والفرسان .

لقد عاش هؤلاء الفلاحين عيشة سيئة في ظل نظام الإقطاع , فكانت مساكنهم رديئة و أثاثهم بسيط جدا ومفارقين إلى ابسط مقومات العيش ومكبلين بأعمال الخدمة لصالح أسيادهم الإقطاعيين في شتى مجالات الحياة , إلى جانب حرمانهم من ممارسة حرياتهم في طرق كسب المال الأخرى , ولذلك ظهرت حالات البؤس على معيشة غالبية شعوب اوروبا في الفرن الحادي عشر الميلادي وعندما ظهرت الدعوة إلى الغزو الصليبي , وجدت هذه الغالبية فرصتهم للخلاص من حياتهم الشاقة المليئة بالذل و الهوان ونظروا إلى خطر الغزو نظرة بسيطة ووجدوا أن موتهم في هذا الغزو أهون عليهم من بقائهم في هذه الوضعية الرديئة , و أن بقوا على قيد الحياة فهو لهم أفضل واعتبروه خلاص من الحالة التي هم فيها[32] .

4- **الدافع السياسي** :

كانت الأوضاع في بلاد الشام تعيش في حالة من الفوضى السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية , فقد كانت هناك خلافتان واحدة في بغداد و الأخرى في القاهرة وكانتا في صراع دائم , ونزاع عقائدي دموي مستمر , كما أن الأحوال الداخلية في كل من هاتين الخلاقتين كانت جدا سيئة حيث كان الخلفاء محكوم عليهم من قبل جند نسوا كيف يقاتلون للدفاع عن شعوبهم ضد الظلم والعدوان الخارجي , وتذكروا فقط كيف يقاتلون من أجل الفتن و الاستغلال والتسلط على سدة الحكم[33] .

ومقارنة هذا الواقع الذي استعرضناه بواقع المجتمع الأوربي نجد أن كل فئات المجتمع الأوربي قد اشتركت في الغزو على بلاد الشام , رغم تناقض مصالحها و اختلاف دوافعها , لكنها مجتمعة في هذه الحملة , فإلى جانب رجال الدين و الفقراء و التجار و الإقطاعيين اشترك عدد من الساسة الأوربيين من ملوك أمراء و فرسان في الغزو الأوربي على بلاد الشام مثل فردريك و بربروسا و ريتشارد و فيليب أغسطس و فردريك الثاني و لويس التاسع ملك فرنسا , وعهدت قيادة الحملة إلى الملك ريتشارد ملك بريطانيا[34] .

و هذا شأن البلاد الأوربية وملوكها وأمراءها , أما شأن بلاد الشام فكما يلي:

1- دولة مستقلة في حلب تدعى الأمارة المرداسية[35] , وكانت تحكم معظم الأجزاء الشمالية من الشام .
2- أجزاء من شمال الشام وسواحله تحت الإدارة البيزنطية المتمركزة في أنطاكية[36] .
3- دولة شبه مستقلة في طرابلس[37] تحكم من قبل أسرة آل عمار .
4- دولة شبه مستقلة في صور[38] تحكم من قبل أسرة آل عقيل .
5- دولة شبه مستقلة في شيزر[39] تدعى باسم الأمارة المنقذية[40] مع محاولات لتأسيس حكومات مستقلة في حمص[41] وحماه[42] .
6- عدد من الإقطاعيات و الإدارات شبه المستقلة في مناطق الساحل[43] .
7- دمشق وفلسطين تحت حكم الخلافة الفاطمية

فماذا نستنتج من المقارنة سوى الضعف بسبب التنافر و الأطماع لدى رؤساء و أمراء الإقطاعيات التي استقلت عن الخلاقتين و الشد و الجذب بين الأمارات تارة الأمير يخطب لهذه الخلافة وتارة لتلك , أما الملوك و الأمراء و الفرسان و الأوربيين الذين اشتركوا فكان لكل واحد منهم أطماعه الشخصية بهدف توسيع أقطاعاتهم على حساب بلاد الشام , وخاصة أن عدد كبير منهم لا يملكون أرض , وهذه طبيعة النظام الإقطاعي في غرب أوروبا الذي يقضي بان يرث الابن الأكبر الإقطاعية عن أبيه في حين يبقى بقية الأبناء من الأفراد و الفرسان دون أرض , الأمر الذي دفعهم للاشتراك في هذا الغزو[44] ,وكان الهدف منها تأسيس أمارة لهم في الشرق .

ومع أن الأطماع الشخصية كانت واضحة , لكنهم كانوا متفقين لذا فقد حرضوا على هذا الغزو , ولكن الذي حدث سرعان ما نشبت خلافات كثيرة فيما بينهم و بالأخص عند عملية قسمة الغنائم قبل وصولهم إلى بلاد الشام و اشتد الخلاف حول مسألة حكم الإمارة أو الفوز بهذه المرتبة حتى وصل بهم أنهم لم يفكروا برضا البابا أو سخطه وحتى أن بعض الأمراء الصليبيين تحالفوا مع بعض القوى الإسلامية المجاورة لهم في بلاد الشام ضد الصليبيين الأمر الذي أدى إلى ضعف الدافع الديني عندهم أمام مصالحهم السياسية في هذه البلاد[45] .

5- **الدافع التاريخي** :

قد ترجع الأسباب الرئيسية التاريخية للعداء بين المسلمين والمسيحيين إلى فترة تاريخية بعيدة , أي منذ سقوط بيت المقدس بأيدي المسلمين سنة (15هـ) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[46] .

وقد أدى سوء العلاقات بين الحاكم بأمر الله[47] الفاطمي و بين الدولة البيزنطية في أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي, وما عرف عنه من تعصب ضد المسيحيين على خلاف طبيعة التسامح التي عرف بها الإسلام و المسلمين إزاء رعاياهم المسيحيين في ظل دولتهم , غير أن الضغط الذي تعرض له بعض النصارى في مصر أثار حدة النزاع بين الشرق و الغرب , وقد انتقل أمر رعاية الأماكن المقدسة إلى الإمبراطور البيزنطي وظل ذلك مصدر صراع بين الكنيستين الشرقية والغربية , لذا أصبح قدوم الحجاج المسيحيين من الغرب إلى الشرق عن طريق الإمبراطورية البيزنطية أكثر صعوبة , و على العموم فقد أدى عامل الحج إلى بيت المقدس والذي لعب دورا كبيرا في توجيه الغرب المسيحي روحيا إلى بلاد الشام[48] .

المبحث الثاني

العوامل التي سهلت الزحف الصليبي

لقد لعبت جميع دوافع الغزو دورا أساسيا في اندفاع الصليبيين بغزوهم للمشرق العربي أضف إلى ذلك هناك عوامل أخرى خارجية و داخلية سهلت هذا الزحف ومكنت له النجاح , ويكمن أثر العوامل التي لها علاقة بطبيعة المنطقة ذاتها أي بلاد الشام , ومن أهم هذه العوامل التي سهلت الزحف الصليبي كما يلي :-

1. النورمان والأرمن و المسيحيون :- حاول الإمبراطور البيزنطي رومانس الرابع أن يستعين بمجموع النورمان المرتزقة الوافدين من صقلية و جنوب ايطاليا للوقوف بوجه السلاجقة في آسيا الصغرى , فلما أصبح عددهم كبيرا , تطلع أحد المغامرين منهم ويدعى (أرسل ياليل) المحاولة بالاستقلال في الجهات المحيطة بأنقرة على حساب البيزنطيين والسلاجقة معا , مما ترك ضررا بالنفوذ البيزنطي في آسيا وعزز مركز السلاجقة فيها , حيث تعتبر حركتهم هذه أول محاولة يقوم بها الأوربيون الغربيون لتثبيت أقدامهم في الشرق الأدنى قبيل الغزو الصليبي[49] .

ورغم أن نفوذ السلاجقة شمل معظم بلاد آسيا الصغرى إلا أن القسم الجنوبي والشرقي منها لم يتجهوا إليها وخاصة طوروس[50] و الرها[51] و أنطاكيا[52] , الأمر الذي أدى إلى عزلها إذ أصبحت مركزا للصراع بين السلاجقة و البيزنطيين , ولم تلبث هذه الأقاليم أن أصبحت مركزا لحركة إحياء أرضية فريدة من نوعها وذات أهمية بالنسبة لتاريخ الغزو الصليبي حيث استطاع بها الصليبيين بعد فترة من الزمن الوصول إلى الجزيرة الفراتية وبلاد الشام و الاستيلاء على الرها و أنطاكيا , و خاصة أن الإمبراطورية قد منحت ملوك أرمينيا و أمرائها ضياعا واسعة في هذه الديار مما ترتب عليه هجرة

أعداد كبيرة من الأرمن إلى أقاليم شرق آسيا , ولما تعرضوا لضغط السلاجقة الأتراك اتجهوا نحو إقليم قلقيلية[53] في جنوب شرق آسيا وتركزت في المناطق المحيطة بالرها و أنطاكيا[54] .

ولما وجد النصارى في أنطاكيا و الرها و غيرها من المدن التابعة للإمبراطورية البيزنطية أنفسهم وسط محيط واسع من الأتراك والسلاجقة و انقطاع الطريق بينهم و بين الإمبراطورية البيزنطية وتعذر وصول الإمدادات لهم اضطروا إلى تكوين أمارات صغيرة تحت زعامة الأرمن وقيادتهم , وهكذا وضع البيزنطيون دولة ارمنية جنوب شرق آسيا وأقاموا علاقات معهم لكنها ما لبثت أن سقطت بأيدي السلاجقة في عهد سليمان بن قتلمش[55] الذي استولى على أنطاكيا سنة (1085م) ومع ذلك بقى الأرمن يتحكمون ببعض مدن المنطقة مثل الرها[56] .

وهكذا مهد الحكم الارمني في شرق آسيا الصغرى و أطراف العراق وبلاد الشام لحكم صليبي فيما بعد , كما مهد وجود الأرمن في هذه المنطقة لقيام مملكة أرمينية في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي وهي المملكة التي قامت في الركن الجنوبي من آسيا الصغرى اضطلعت بدور بارز في تاريخ الغزو الصليبي[57] .

2. ضعف سلاجقة الشام وآسيا الصغرى : ازدادت الخلافات كثيرا في صفوف المسلمين في بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي فتطلع أمير الموصل شرف الدولة مسلم العقيلي[58] إلى أقامة دولة تمتد من إقليم كردستان إلى شمال الشام , مستفيدا من حالة عدم الاستقرار السائدة في المنطقة المحيطة به ,وفي الوقت ذاته دخل بلاد الشام الأمير تاج الدولة السلجوقي[59] بهدف أقامة دولة خاصة به في هذه البلاد , ذلك أن أخاه ملك شاه[60] اقطعه بلاد الشام في تلك النواحي , فبدأت المنافسة بين الأمير مسلم العقيلي و الأمير السلجوقي حول حلب , وهي ما ترك بأيدي بني مرداس[61] فاستولى عليها الأمير مسلم الذي اختلف أيضا مع الأمير سليمان قتلمش السلجوقي بسبب استيلائه على أنطاكيا وكانت تدين الولاء العقيلي فأدى الصراع بينهما إلى استيلاء سلاجقة الشام على البلاد[62] . ورغم أن ساحل بلاد الشام وفلسطين كانت تخضع للفاطميين , فقد نجح أحد قادة السلطان ألب أرلان السلجوقي[62] تمكن من الاستيلاء على بيت المقدس وفلسطين بأكملها وذلك في سنة (1075م) , وعمل على إقامة دولة خاصة به , كما استولى على دمشق و المنطقة المحيطة بها[64] .

ولم يدم الحكم طويلا فقد تمكن الأمير تتش السلجوقي[65] من القضاء عليه وقتله , و صار قتلمش يسيطر على المنطقة الوسطى من بلاد الشام , وهكذا أصبحت المعركة محصورة في بلاد الشام بين أمراء

السلاجقة سليمان قتلمش فاتح الأناضول و الثاني الأمير تتش أخو السلطان ملك شاه فالتقى الطرفان بمعركة عند حلب انهزمت فيها قوات سليمان وقتل هو فيها سنة (1086م) وترتب على مقتله نتائج خطيرة .

وقد استعاد السلطان شاه البلاد الشامية من أخيه تتش معظمها ووزعها امارات شامية على قواده و أصحابه , ففتح حلب و أنطاكيا و الرها فقد منحها إلى قائده بوزان[66] , ولم يبق بيد تتش سوى دمشق وجزء من فلسطين , وظلت بيت المقدس خارج سيطرتهم .

وبذلك استطاع ملك شاه أن يمنع أخاه من إقامة دولة موحدة في بلاد الشام الأمر الذي أضعف هذه البلاد أمام الغزو الصليبي وزحفهم إليها[67] . و نتيجة لهذه السياسة في بلاد الشام فقد دب الضعف إلى سلطة السلاجقة في آسيا الصغرى وعدم إمكانية قيام حكومة قوية مما جعل بلاد الشام تعاني كثيرا من الفوضى و الانقسامات والتي استفاد منها الصليبيون في زحفهم إلى هذه الديار.

3. الانقسام بين النصارى والشرقيين :لقد أدى الانقسام بين العرب والترك في العالم الإسلامي وخاصة في بلاد الشام وآسيا الصغرى إلى تمهيد السبيل لانتصار الصليبيين في غزوهم لبلاد الشام , أضف إلى ذلك الفتن التي حدثت في العالم المسيحي وخاصة بين الكنائس الشرقية والتي قد سهل وقوعها تحت حماية الكنيسة الرومانية الغربية , وهذا أدى إلى قيام دويلات الصليبيين الكاثوليك في الشرق خاصة , وهذا العداء المذهبي قد بلغ أشده بين البيزنطيين و الأرمن و السريان جميعا يتعرضون لكارثة مشتركة استفاد منها الصليبيون الغربيون وسهل زحفهم إلى المشرق[68] .
4. ضعف الدولة البيزنطية : تعرضت الدولة البيزنطية في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي إلى ضعف شديد من قبل السلاجقة في آسيا وخطر النورمان وضغطهم على الأقاليم الأوربية , الأمر الذي أدى إلى ضعفها , وبالتالي إلى تراجعها أمام هذين الضغطين , فتراجعت أمام السلاجقة بعد هزيمتها في معركة (منازكرد)[69] , كما تراجعت أمام الذين انتزعوا آخر إقليم في ايطاليا وخاصة بعد أن انتزعوا صقلية[70] من المسلمين , واخذ النورمان يواصلون الحرب ضد المسلمين في الشرق فاتجه قسم منهم نحو الدولة البيزنطية ودخلوا في خدمتها كجند مرتزقة , فاستغل هؤلاء النورمان هزائم البيزنطيين أمام السلاجقة و الأناضول واشتبكوا معهم في مواقع كثيرة , كما زحف روبرت الروماني على القسطنطينية لكنه اضطر للعودة إلى ايطاليا وترك قواته في بلاد البلقان لابنه الذي صار فيما بعد بطلا من أبطال الحملة الصليبية , هذه الانتصارات

المتكررة أوقعت خسائر كبيرة حتى كادت تسقط بأيديهم قبل الغزو الصليبي الأمر الذي فتح لهم طريق الشرق وسهل زحف الصليبيين إلى هذه الديار[71] .

5. استنجاد الدولة البيزنطية بالغرب الأوربي : عندما تعرضت الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور اليكسوس إلى هجمات النورمان المتزايدة من الغرب والسلاجقة من الجنوب والشرق وعجزت عن صدهم والتغلب عليهم , فاضطرت إلى طلب النجدة سنه (1087م– 1088م) من بلدوين ليرسل إليها العساكر فأجاب طلبها واستنجد بالبابا اوريان الثاني أكثر من مرة لمساعدتها في دفع هذه الأخطار[72] , وكان البابا ينتظر الفرصة الملائمة لإثارة الغرب و توجيه نشاطه الحربي لخدمة الدين والكنيسة في الشرق , و في الوقت نفسه كان الإمبراطور البيزنطي يطمع في استغلال الصليبيين وعاطفتهم الدينية لمصلحته الخاصة ضد خصومه و إن يستعيد ما فقدته إمبراطوريته من ممتلكات في الشرق , وبهذا التقت مصلحة الإمبراطورية البيزنطية بمصلحة الكنيسة لغزو العالم الإسلامي رغم ما يحمله الجانبان من تناقض حقيقي[73] .

لذلك تعتبر الكنيسة القوة الحقيقية والأساسية التي جعلت الإمبراطور البيزنطي اليكسوس يطلب الإمدادات لحرب في مقدمتها الاستيلاء على بيت المقدس , وسموا هذا الغزو بالحروب الصليبية , وهذا تبرير للمصالح و الأطماع التي انصبت لتحقيق أهدافهم المخالفة لأهداف الكنيسة والسلام الذي جاء من اجله السيد المسيح (عليه السلام) . وقد نجح البابا أوريان الثاني في توجيه أوروبا الى الغزو عندما انتقل الى كنيسة كلير مونت في الجنوب الشرقي من فرنسا وعقد اجتماعا دينيا في شهر آذار سنه (488هـ) بعد تلقيه رسائل جديدة من الإمبراطور البيزنطي , ثم عقد اجتماعا آخر في نفس السنة , حيث ألقى فيه خطابه الشهير دعي فيه المسيحيين إلى مساندة الإمبراطور البيزنطي , فبادر الألوف من المسيحيين إلى اتخاذ الصليب شعارا لهم وأولهم الأسقف اوهيار الذي جعله البابا نائب عنه وقائدا روحيا للحملة[74] .

المبحث الثالث

الحملات الصليبية على بلاد الشام

سارت جموع الصليبيين إلى الشرق في حملة كبيرة انقسمت في طريق مسارهم إلى قسمين :

الأولى : سميت بحملة الشعوب أو العامة

الثانية : حملة الأمراء

1- حملة الشعوب أو العامة : جاءت هذه الحملة بطلب من البابا أوريان الثاني إلى الأساقفة فاستجابوا له , فظهرت منهم طائفة جديدة قامت بجهود كبيرة بالدعاية لهذه الحرب , وكان على رأس هؤلاء الدعاة (بطرس الناسك) الذي طاف في مختلف أقاليم فرنسا وخرج منها ومعه عدد كبير من الأتباع يقدر بحوالي خمسة عشر ألفا من الفقراء والمعدمين بينهم من الضعفاء و الأطفال واتجهوا صوب القسطنطينية .

وبعد أن كونوا خمسة جيوش كبيرة غرب أوربا وشرقها , وصلت منها مجموعتان فقط بينما تفرق الباقون , وقد أساؤوا معاملة أهالي البلدان والمدن التي مروا بها في طريقهم , واخذوا ينهبون ويسلبون ويعتدون على الأهالي الآمنين , حتى بلغوا القسطنطينية في شهر رجب سنة (490هـ) على الرغم ما كانوا عليه من سوء الحال ورداءة التنظيم وجهل تام بأبسط مبادئ القتال , ولما وصلت جيوش العامة مدينة القسطنطينية طلب أليهم الإمبراطور البيزنطي الانتظار خارج أسوار العاصمة[75] .

ولعلم الإمبراطور بالممارسات السيئة التي قام بها الصليبيون أثناء مرورهم بأراضي الإمبراطورية البيزنطية في أقاليمها الغربية فقد أحسن إليهم واستقبلهم أحسن استقبال وسهل لهم العبور إلى آسيا الصغرى , ولما كثرت الاعتداءات على موطني الإمبراطورية وكثر السلب والنهب أمر الإمبراطور بنقل هؤلاء الصليبيين إلى الجانب الشرقي للبسفور , مع ذلك استمر عامة الصليبيين بالاعتداء على المزارع و القرى وحتى الكنائس القريبة من مناطق سكانهم , ثم وسعوا عدوانهم باتجاه الجنوب الشرقي و اقتربوا من مناطق نفوذ السلاجقة في هذه البلاد وبدأت مناوشات بين الجانبين على مقربة من مدن السلاجقة .

وفي سنة (1096م) زحف الصليبيين على هذه المدن وقد بلغ عددهم خمسة وعشرين ألفا , ولم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف بعد أن هاجمهم السلاجقة و بذلك تكون حملة العامة فشلت , حتى وصلت حملة الأمراء[76] .

2- حملة الأمراء : بدأ الأعداد لحملة الأمراء بشكل رئيسي في نفس الوقت الذي سارت به حملة العامة من المعدمين , وقد تولى زعامتها عدة أمراء لكل منهم جنده وأتباعه , كما كان لكل منهم سياسته الخاصة , مما جعل هذه الحملة في حقيقتها مجرد مجموعة من الحملات والاتجاهات المتعارضة في كثير من النواحي , وبعض هذه الحملات كانت نظامية وقد وصلت إلى حدود الدولة البيزنطية في أواخر شهر ذي الحجة سنة (490هـ) وبذلك بدأت المسألة الصليبية في تاريخ الدولة البيزنطية فعقدت الدولة البيزنطية مع الأمراء اتفاقا يلزم الصليبيين بعدم القيام بأعمال السلب والنهب داخل الأراضي الإمبراطورية , مقابل

ذلك يتعهد الإمبراطور البيزنطي بإمداد حملات الأمراء الصليبيين بما يلزم من تموين لمواصلة الحرب مع السلاجقة[77] .

وكان هؤلاء الزعماء يتنافسون جميعا للحصول على تأييد الإمبراطور البيزنطي للانفراد بالقيادة والزعامة للصليبيين[78] .

ومقابل الحملات المنظمة , كانت حملات غير منظمة وعدم وجود قيادة موحدة لهم الآمر الذي أدى إلى انقسام الصليبيين على أنفسهم واختلافهم مع بعضهم وقد استغل الإمبراطور البيزنطي أن يستغل هذه الحملات لمثالحهم الخاصة فاهتم بتحديد الجانب القانوني للعلاقة بينه وبين الأمراء فاضطرهم على الاعتراف و الولاء له ضمنا وصراحة و أن يتعهدوا له بإعادة جميع الأراضي التي استولى عليها السلاجقة من الإمبراطورية البيزنطية و اندفعت جموع الصليبيين من القسطنطينية إلى بلاد الشام[79] .

تجمعت قوات الصليبيين النظامية وغيرها من حملة الأمراء على الشاطئ الأسيوي بالقرب من مدينةأزمير بعد أن تركت القسطنطينية , ثم لحق بهم ممن بقي من حملة العامة , و اتفقوا أن يبدءوا زحفهم على مدينة ملطيه باعتبارها مركز الأمير السلجوقي قليح ارسلان[80] الذي لم يكن موجودا فيها في ذلك الوقت , فلما وصلوا شددوا الحصار عليها , فأرسل الأمير ارسلان نائبا عنه للدفاع عنها , ولكن المسلمين خافوا جراء الحصار فأرسلوا سرا إلى الإمبراطور البيزنطي معلنين الاستسلام و تسليم المدينة شريطه أن يسمح لهم بالخروج مع نسائهم و أطفالهم وجميع ما يملكون فاستجاب لهم و وضع يده على المدينة سنة (490هـ)[81] .

الخاتمة:

كان دائما هناك حجة أو سبب ولو ليس فيه من الحقيقة ما يؤكده لتشن حروب ويقتل فيها الآلاف من المدنيين الذين لا دخل لهم بين من لهم أطماع أو أسبابهم الخاصة , وما الحروب الصليبية إلا نتيجة دعوى كاذبى أطلقها الأوروبيون وهي المعاملة السيئة للنصارى في بلاد المشرق ثم تعالت الصيحات لنصرت هؤلاء النصارى من قبل البابا وتبناها الملوك و الأمراء الأوروبيون قبل العامة فسارت جموع الصليبيين فشكلوا مجموعتين أولاهما للعامة , والثانية للأمراء , مع العلم أن بعض الكتاب الأوروبيون كذبوا هذه الحجة وقالوا : كان وضع النصارى في المشرق جيد والحجاج من كل أنحاء بلاد النصارى يؤدون شعائرهم بالحرية المطلقة ولا قيود ولا رقيب وقد ساعد الوضع السياسي المتأزم بين الأمارات العربية الإسلامية في بلاد المشرق وبالأخص بلاد الشام لسيطرة الصليبيين , أضف إلى ذلك دعوة إمبراطور الدولة البيزنطية إلى البابا وهو يستنجد به , و فعلا قدم الإمبراطور تسهيلات كثيرة رغم السوء الذي وقع

على رعاياه من قبل الصليبيين من سلب ونهب وقتل ودمار للأراضي الزراعية وغيرها , ولكنه عقد معهم اتفاقية نظمت حقوق إمبراطوريته فسهل بالمقابل عبورهم وزودهم بالميرة .

و لم تدم ظروف الإمارات العربية الإسلامية والتي كانت تعاني من الضعف و الوهن والقتال المستمر , حتى ظهر قادة مجاهدين وحدوا هذه الأمارات وقاتلوا واستبسلوا ودحروا الصليبيين حتى ردوهم الى أوطانهم والى آسيا الصغرى وشمال إفريقيا , فضلا عن مناطق جنوب أوربا وشمالها , ولكن الفكر الصليبي استمر متخذا طابع آخر وهو الطابع الاقتصادي التجاري والاستيطاني و استنزاف الثروات والحصول على الموارد مفصحا عن دوافعه التاريخية , ولذلك ذهب البابوات يصدرون أوامرهم بمقاطعة التجارة مع المسلمين و يبحثون عن المواقع المهمة في العالم لتكريس الفكر الصليبي وتأجيج حماس المسيحيين في غرب أوربا , كما أن النشاط الاقتصادي الذي أثارته الحروب الصليبية لم يقتصر على المدن الايطالية وحدها بل أسهمت فيه الكثير من المدن في غرب أوربا .

وتعد فترة الحروب الصليبية من أهم الفترات التاريخية للشرق والغرب على السواء نظرا لان هذه الفترات مليئة بالحوادث ومن ضحيتها فلسطين , وكان لضعف الخلافة و السلطة المركزية في بغداد , وظهور خلافة أخري في القاهرة مهد لسيطرة الصليبيين على بلاد الشام فنتج عن ذلك تأثير كبير على بلاد الشام وهناك دوافع وعوامل للغزوات الصليبية :

أ- الدوافع هي : (دينية , اقتصادية , اجتماعية , سياسية , وتاريخية) .
ب- العوامل هي : (الحرب بين البيزنطيين و السلاجقة , وضعف سلاجقة الشام وآسيا الوسطى , وضعف الدولة البيزنطية , والاهم هو استنجاد الدولة البيزنطية بالغرب الأوربي)

الهوامـــــش

(1)هو يوسف بن أيوب شاذي , أبو المظفر , صلاح الدين الأيوبي (532هـ - 589هـ) , (1137م – 1193م) الملقب بالملك الناصر , كان أبوه و أهله من قرية دوين في شرقي أذربيجان وهم بطن من الروادية من قبيلة الهذانيه , من الأكراد , نزلوا بتكريت وولد بها صلاح الدين وتوفي فيها جده شاذي , ثم ولي أبوه أيوب أعمالا في بغداد و الموصل و دمشق , ونشأ هو في دمشق , و تفقه وتأدب وروى الحديث بها و بمصر و الإسكندرية , وحدث في القدس ودخل مع أبيه نجم الدين و عمه شيركوه في خدمة نور الدين زنكي صاحب دمشق وحلب والموصل , واشترك مع عمه في حملة للاستيلاء على مصر (سنة 559هـ) فأستوزره الخليفة العاضد الفاطمي وأعطاه قيادة الجيش ولقبه بالملك الناصر , ثم

استقل بملك مصر مع اعترافه بسيادة نور الدين ومن ثم خطب للعباسيين وانتهى بذلك أمر الفاطميين . تنظر ترجمته : الذهبي , سير أعلام النبلاء ج21 , ص278 وما بعدها , ابن خلدون , العبر : ج4 , ص79 و ج5 , ص250-330 ,أب العماد الحنبلي , شذرات الذهب : ج4 , ص298 , الزركلي , خير الدين , (ت 1410هـ) الأعلام , مج8 , (دار العلم للملايين , بيروت , ط5 , د , ت) : ج8 , ص220 .

(2)القلقشندي , أبو العباس , أحمد بن علي (ت 821هـ), صبح الاعشا في صناعة الانشا , (تعليق : محمد حسين شمس الدين) , (بيروت , 1987م) : ج12 , ص95.

(3)ابن خلكان , شمس الدين , أبو العباس , أحمد بن محمد (ت 681هـ) وفيات الأعيان وأخبار أبناء الزمان , (تحقيق : أحسان عباس) , (دار الثقافة , بيروت , 1972م) , ج7 , ص199 .

(4)هو الملك عماد الدين الاتابك زنكي (478هـ - 541هـ) (1085م – 1146م) بن الحاجب قسيم الدولة آق سنقر بن عبد الله التركي صاحب حلب , فوض أليه السلطان محمود بن ملكشاه بغداد في سنة (511هـ) ثم حوله الى مدينه الرها , وتملك حلب و الموصل وحماه وحمص وبعلبك وبانياس , وحاصر دمشق وصالحهم على أن خطبوا له على المنابر , وكان بطلا شجاعا مقداما , استنقذ من الافرنج كفر طاب و المعره وشغلهم بانفسهم ودانت له البلاد وقد زاد عمره على الستين . تنظر ترجمته : الذهبي , شمس الدين , أبو الفدء , محمد بن أحمد , (ت 748هـ) , سير أعلام النبلاء , مج23 , (تحقيق : شعيب الارناؤوط – محمد نعيم) , (مؤسسة الرسالة , بيروت , ط9 , 1413هـ) : ج 20 , ص190-192 , ابن كثير , أبو الفداء , إسماعيل بن كثير , (ت 774هـ) , البداية و النهاية , مج14 , (تحقيق : علي شيري) , (دار أحياء التراث العربي , بيروت , ط1 , 1408هـ) : ج12 , ص235 , 236 , ابن خلدون , عبد الرحمن (ت 808هـ) , العبر وديوان المبتدأ والخبر في العرب والعجم و البربر , مج8 , (دار أحياء التراث , بيروت , ط4) : ج4 , ص49-215 , ابن العماد الحنبلي , أبو الفلاح , عبد الحي (ت 1089هـ) , شذرات الذهب في أخبار من الذهب , (دار الكتب العلمية , بيروت , د . ت) : ج4 , ص128 .

(5)هو خليل بن قلاوون الصالحي ويلقب بالملك الاشرف بن السلطان الملك المنصور (666هـ - 693هـ) (1268م – 1264م) من ملوك مصر , ولي بعد وفاة أبيه (سنة 689هـ) , واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية و قاتل الافرنج فأسترد منهم عكا و صور و

صيدا و بيروت و قلعة الروم و بيسان وجميع الساحل وتوغل في الداخل , وكان شجاعا مهيبا عالي الهمة جوادا , قتله بعض المماليك غيلة بمصر , تنظر ترجمته : ابن كثير , البداية و النهاية : ج13 , ص 397 , ابن تغري بردي , يوسف الاتابكي (ت 874هـ) النجوم الزاهرة في تاريخ مصر و القاهرة , (مصر , 1352هـ) : ج8 , ص3 , الزركلي , الأعلام : ج2 , ص320 – 321 .

(6)الملك الظاهر , ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي (625هـ - 676هـ) (1228م – 1277م) صاحب الفتوحات , مولده بأرض القبجاق , واسر فبيع في سبواس , ثم نقل إلى حلب ومنها الى القاهرة , فاشتراه الأمير علاء الدين البندقدار , فلما قبض عليه الملك الصالح , أخد بيبرس ثم اعتقه , ثم صار أتابكا للعساكر بمصر في أيام الملك المظفر قطز و قاتل معه التتار في فلسطين , ثم اتفق مع الأمراء على قتل قطز فتولى بيبرس سلطنة مصر ,وكان شجاعا جبارا يباشر الحروب بنفسه و له وقائع مع التتار و الافرنج الصليبيين . تنظر ترجمته : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة : ج7 , ص94 , الزراكلي , الأعلام : ج2 , ص79 .

(7)الكنعانيون : كنعان بالفتح ثم السكون و عين مهملة و آخره نون وهو ابن سام بن نوح واليه ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية , و بلاد الشام منازلهم . ينظر : المسعودي , أبو الحسن , علي بن عبد الحسين بن علي (ت 346هـ) , أخبار الزمان , (تحقيق : لجنة من الأساتذة) , (دار الأندلس , ط2 , 1386هـ) : ص87 , الحموي , ياقوت (ت 626هـ) , معجم البلدان , مج5 , (دار إحياء التراث , بيروت , د , ت) , ج4 , ص487 .

(8)العموريون : عموري : من قبائل حضر موت في وادي دغن جنوب شبام , وقد سكنوا المنطقة الوسطى من سوريا . ينظر : الأمين , حسن , الاسماعيليون و المغول و نصير الدين الطوسي , (مركز الفدير , ط2 , 1417هـ) : ص234 , كحاله , عمر رضا , معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة , مج3 , (دار العلم للملايين , بيروت , ط2 , 1388هـ) : ج2 , ص 840 .

(9)البلاذري , أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ) فتوح البلدان , (مطبعة الموسوعات , القاهرة , 1901م) : ص117 .

(10) الجزيرة الفراتية : وهي المنطقة الممتدة بجهات سنجار و نصيبين و عرف أيضا بديار ربيعة و مضر , و من أوديتها ظبى و الاحص , و من مياهها البشر و قباقب و النبي والثوير , ينظر :كحاله , معجم قبائل العرب : ج1 , ص120 .

(11) بنو حمدان : ملوك و أمراء ينسبون الى جدهم حمدان , و سيف الدولة مشهور بسيادتهم وكان عماد الإسلام ومن به سداد الثغور وسداد الأمور , و يقال انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر و نجوم الدهر , وكان أديبا وشاعرا . تنظر ترجمته : ابن عساكر , أبو القاسم , علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ) , تاريخ مدينة دمشق , مج70 (دار الفكر , بيروت , 1415هـ -1995م) : ج43 , ص22 , السيوطي . جلال الدين , عبد الرحمن , (ت 911هـ) , لب اللباب في تحرير الأنساب , (دار صادر , بيروت , د , ت) , ص83 .

(12) الموصل : بالفتح وكسر الصاد , المدينة المشهورة العظيمة , أحدى قواعد بلاد الإسلام , قليلة النظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة , فهي باب العراق و مفتاح خرسان , ينظر : الحموي , معجم البلدان : ج5 , ص223 .

(13) حلب : بالتحريك , مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات , وهي قصبة جند قنسرين في بلاد الشام ' و قلعة حلب مقام إبراهيم الخليل (عليه السلام) , ينظر : الحموي , معجم البلدان : ج2 , ص282 , 284 .

(14) بنو عقيل : وهم بطن من العدنانية و هم بنو عقيل بن عبيد الحجز و بنو حجاز , وكلهم من عامر بن صعصعة قد انتشروا ما بين الجزيرة و الشام في عدوة الفرات وكانوا كالرعايا لبني حمدان يؤدون الإتاوات , ثم استفحل أمرهم عند فشل دولة بني حمدان , ثم ملكوا الموصل , ينظر : ابن خلدون , العبر , ج4 , ص255 , كحالة , معجم قبائل العرب , ج2 , ص798 .

(15) مسكويه , أبو علي , أحمد بن محمد (ت 241هـ) تجارب الأمم , (القاهرة , 1915م) : ج6 , ص401 , ص404 .

(16) عاشور , سعيد عبد الفتاح , الناصر صلاح الدين الأيوبي , (سلسلة أعلام العرب , القاهرة , 1965م) , ص24 .

(17) عاشور , سعيد عبد الفتاح , الحركة الصليبية ' (القاهرة , 1963م) , ج1 ,ص25 .

(18) السلاجقة : وهم نسبة إلى جدهم سلجوق , وكان بدأ ملكهم سنة (429هـ) وفيها استولى ركن الدولة أبو طالب طغر لبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق على نيسابور و

صار ملكا عليها و بعث أخاه داوود إلى بلاد خرسان فملكها و انتزعها من نواب مسعود بن محمود بن سبكتكين , ينظر : ابن كثير , البداية و النهاية , ج12 , ص54 ,111 .

(19) عاشور , الحركة الصليبية , ص23 , بروكلمان و تاريخ الشعوب الإسلامية , (القاهرة , د , ت) , ص345 .

(20) فهمي , بدري محمد , العصور العباسية المتأخرة , (بغداد , 1981م) , ص27 .

(21) الإسماعيلية : وهم فرقة باطنية ينتسبون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق لانتساب زعيمهم المغربي الى محمد بن اسماعيل وفي كتاب الشجرة انه لم يعقب , ينظر : السمعاني , أبو سعد , عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت 562هـ) , الأنساب , مج5 (تقديم و تعليق : عبد الله عمر البارودي) , (دار الجنان , بيروت , ط1 , 1408هـ) , ج1 , ص156 , ابن كثير , البداية و النهاية , ج11 , ص171 .

(22) وادي التيم : يقسم وادي التيم عدة قرى منها مشغرا و تليتاثا , و كانوا قد عصوا و افسدوا و كان الملك صلاح الدين بن الكامل خربهما وعمر بدلهما قرى بأسفل الوادي . ينظر : ابن كثير , البداية و النهاية , ج14 . ص353 .

(23) النصيرية : بضم النون و فتح الصاد المهملة و سكون الياء المنقوطة و هم طائفة من الغلاة يقال لهم النصيرية و ينتسبون إلى رجل اسمه نصير , كانوا يزعمون أن عليا هو الله . ينظر : السمعاني , الأنساب , ج5 , ص 498 , 499 , ابن كثير البداية و النهاية , ج14 ,ص95 , الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص304 .

(24) تل بهراء : وهو تل في بلاد الشام بالقرب من حمص , حدث بقية بن الوليد عن أبي بكر بن عبد الله قال : ينهي الروم الى دير بهراء فعند ذلك يكون الحلفة لا يتجاوزها الى حمص ثم يرجع المسلمون فيهزموهم , ينظر : المروزي , أبو عبد الله , نعيم بن حماد , (ت 229هـ) , كتاب الفتن , (تحقيق : سهيل زكار) , (دار الفكر , بيروت , ط1 , 1414هـ) , ص277 .

(25) زكار , سهيل , تاريخ الحروب الصليبية , (دار الفكر , بيروت , 2003م) " ص32 .

(26) حبشي . حسين , نور الدين والصليبيون , (القاهرة , 1948م) : ص50 .

(27) المصدر نفسه .

(28) نوري , دريد عبد القادر , سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة , (بغداد , 1976م) , ص52 .

(29) حبشي , الحروب الصليبية , (د . ت . د .ط) , ص10 .

(30) المصدر نفسه .

(31) عبد القادر , دريد, سياسة صلاح الدين , ص55 .

(32) عاشور , سعيد عبد الفتاح , أوروبا في العصور الوسطى (التاريخ السياسي) , (القاهرة , 1961م) , ص68 .

(33) زكار , سهيل , تاريخ الحروب الصليبية , ص31 , 32 .

(34) الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج22 , ص213 .

(35) المرداسية : أمارة في بلاد الشام حكموا حلب ومن ملوكها معز الدولة المرادسي , (ت 454هـ) (1062م) و كان كريما حليما شجاعا ولي الملك سنه (434هـ) . ينظر : الزركلي , الأعلام . ج2 . ص 100 ,

(36) القرشي , يحيى بن علي (ت 662هـ) , غرر الفوائد المجموعة , (تحقيق : محمد خرشافي) , (دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1417هـ - 1996م) . ص35 , 36 , زكار , تاريخ الحروب الصليبية , ص31 , 32 .

(37) طرابلس : وهي طرابلس الشام وتقع في الإقليم الرابع وحكمت من قبل أسر و أمراء عدة منهم آل عمار , ينظر : الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص26 , زكار , تاريخ الحروب الصليبية , ص31 , 32 .

(38) صور : بضم أوله و سكون ثانية و آخره أراء وهي في الإقليم الرابع , مدينة مشهورة كانت من ثغور المسلمين وهي مشرفة على بحر الشام , افتتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ولم تزل بأيديهم إلى أن نزل عليها الافرنج سنه (518هـ) ' ينظر : السمعاني , الأنساب , ج3 , ص564 , الحموي , معجم البلدان , ج3 . ص433 .

(39) شيزر : وهي مدينة وقلعة حصينة بالشام قريبة من حمص والمعره , بينهما وبين حماه يوم , وفي عام (17هـ) طلب أهلها الصلح مع أبي عبيده بن الجراح . ينظر : السمعاني , الأنساب , ج3 , ص500 , الحموي , معجم البلدان , ج3 ,ص383 , السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن , (ت 911هـ) لب اللباب في تحرير الأنساب , (دار صادر , بيروت , د , ت) , ص159 .

(40) المنقذية : نسبة الى ابن منقذ و هم أمراء و من ملوكهم أبو الغنائم الكناني المنقذي الملقب بمكين الدولة , ولد بشيزر في التاسع عشر من جمادي الآخرة سنة (491هـ) , ينظر : ابن عساكر , تاريخ مدينة دمشق , ج15 , ص299 .

(41) حمص : بالكسر ثم السكون , و الصاد مهمله , بلد مشهور قديم كبير مسور , وفيه قلعة حصينة على تل عال كبيره وهي بين دمشق و حلب في نصف الطريق , ينظر : الحموي , معجم البلدان , ج2 . ص302 .

(42) حماة : مدينة من مدن الشام بين حلب وحمص كبيرة عظيمة واسعة الرقعة , يحيط بها سور محكم وفي طرف المدينة قلعة عجيبة عظيمة في حصنها , ينظر : السمعاني , الأنساب : ج2 , ص259 . 267 , الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص 299 , 300 .

(43) وذكر الحموي في معجم البلدان , ج2 , ص109 , قال: (و مناطق الساحل كانت بأيدي الافرنج إلى أن فتحها صلاح الدين الأيوبي في سنة (583هـ)) .

(44) حبشي , تاريخ الحروب الصليبية , ص10 .

(45) ارنست باكر , الحروب الصليبية , (ترجمة السيد الباز) , (القاهرة , د, ت) , ص24 . 25 .

(46) ابن الأثير , عز الدين , أبو الحسن الشيباني (ت 630هـ) , الكامل في التاريخ , (بيروت , 1966م) , ج3 , ص267 .

(47) الحاكم بأمر الله : صاحب مصر أبو علي منصور بن العزيز نزار بن المعز معد بن المنصور اسماعيل بن القائم محمد بن المهدي (375هـ - 411هـ) (985م – 1021م) , العبيدي المصري الاسماعيلي ولد سنة (375هـ) وأقاموه في الملك بعد أبيه وله أحدى عشره سنة . تنظر ترجمته : الذهبي , سير أعلام النبلاء . ج15 , ص172 , ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج4 , ص603 , الزركلي , الأعلام , ج4 , ص 604.

(48) ارنست باكر , الحروب الصليبية , ص25 .

(49) عاشور , الحركة الصليبية , ج1 , ص95 , 97 .

(50) طوروس : وهي جبال تقع في شمال آسيا الصغرى تفصل ولاية كيلسيكيه وتقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لآسيا الصغرى عن مقاطعات كبدوكيه و ليتوانيه و ايسوريا , ينظر : مجمع الكنائس الشرقية , قاموس الكتاب المقدس , ( ) مكتبة المشغل , بيروت , 1981م) , ص803 .

(51) الرها: الرهاء بضم أوله و المد و القصر مدينة بالجزيرة بين الموصل و الشام , بناها الملك سلوقس و النسبة إليها رهاوي , ينظر : الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص106 .

(52) أنطاكيا : أنطاكيا : بالفتح ثم السكون والياء مخففة , و أول من بناها , انطيخس وهو الملك الثالث بعد الاسكندر , وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية , ينظر : الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص267 .

(53) قلقيلية : قلقيليا : وتقع بارمينة العظمى من نواحي خلاط , وكانت أرمينه بأيدي الفرس منذ أيام أنوشروان حتى جاء الإسلام . ينظر : الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 300 .

(54) عاشور , الحركة الصليبية , ص97 – 98 .

(55) سليمان بن قتلمش : هو السلطان سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق السلجوقي جد ملوك الروم , حاصر حلب فكاتب أهلها تتش صاحب دمشق و هو ابن ألب أرسلان , فسارع اليهم فالتقى الجمعان بظاهر حلب فانهزم الروميون وثبت سليمان إلى أن قتل وكان صاحب مدينة قونيه , ينظر : الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج18 , ص449 , ابن كثير , الداية و النهاية , ج12 , ص154 .

(56) حبشي , تاريخ الحروب الصليبية , ص9 .

(57) عاشور , الحركة الصليبية , ج1 , ص101.

(58) شرف الدولة مسلم العقيلي : ابن قريش بن بدران العقيلي , أبو المكارم , أمير الموصل و ديار ربيعة و مضر و لي بعد وفاة أبيه سنة (453هـ) واستولى على قلعة حلب واخذ الإتاوة من بلاد الروم , و افتتح حران ودانت له البادية ورام الاستيلاء على بغداد بعد طغر ليك و قاتل سلطان الترك سليمان بن قتلمش , مات وله بضع و أربعون سنة , تنظر ترجمته : الذهبي / سير أعلام النبلاء , ح17 , ص634 , ابن كثير , البداية و النهاية , ج12 , ص147 , ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج5 , ص119 , الزركلي , الأعلام , ج7 , ص222 .

(59) تاج الدولة السلجوقي : هو الملك تتش بن السلطان أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي , اخو ملك شاه , كان شجاعا مهيبا جبارا , له فتوحات وتملكك عدة مدائن وخطب له ببغداد , قدم دمشق فأخذها من اطز الخوارزمي , تنظر ترجمته : الحموي , معجم البلدان . ج2 , ص15 , الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج19 . ص84 .

(60) ملكشاه : هو السلطان الكبير جلال الدولة , أبو الفتح ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان بن محمد بن جغريبك السلجوقي , تملك بعد أبيه , فملك من المدائن ما وراء

النهر و بلاد الهياطلة وباب الأبواب وبلاد الروم و الجزيرة و كثير من بلاد الشام إلى القدس ومن أطراف القسطنطينية إلى بلاد الخزر و بحر الهند وكان حسن السيرة , تنظر ترجمته : الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج19 , ص55 .

(61) بني مرداس نسبه إلى جدهم , حكموا حلب , ومنهم الملك أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي الذي تملك حلب وانتزعها من مرتضى الدولة نائب الظاهر العبيدي سنة (417هـ) و كانت بيده أيضا بعلبك فحاربه المصريون فقتل هو و نجا ابنه أبو كامل نصر فتملك حلب ولقب سيد الدولة وبقي الى سنة (429هـ) فقتله المصريون , ينظر : الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج17 , ص 375 .

(62) كمال الدين بن القاسم , تاريخ حلب , (بيروت , 1968م) , ج2 , ص91-92 .

(63) ألب أرسلان : السلطان الكبير , الملك العادل , عضد الدولة , أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن جفريبك بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق بن سلجوق , التركماني الغزي , وقد عظم أمره وخطب له على منابر العراق و العجم و خراسان و دانت له الأمم و هزم عظيم الروم , تنظر ترجمته : الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج18 , ص415 .

(64) ابن القلانسي , أبو يعلي , حمزة (ت 555هـ) , ذيل تاريخ دمشق , (تحقيق : امدروز) (القاهرة , 1980م) , ص98-99 .

(65) تتش السلجوقي , هو تاج الدولة , وردت ترجمته برقم : (59) .

(66) ابن خلدون , العبر , ج5 , ص22 .

(67) ابن واصل , جمال الدين , محمد بن سالم , مفرج الكروب , (القاهرة , 1957م) , ج1 , ص190 .

(68) عاشور , الحركة الصليبية , ج1 , ص120 , 121.

(69) منازكرد : منازجرد , بعد الألف زاي ثم جيم مكسورة و راء ساكنة ودال , وأهلها يقولون منازكرد , بلد مشهور بين خلاط و بلاد الروم يعد في أرمينية و أهلها أرمن و روم . ينظر :الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص202 , وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء , ج17 , ص584 : (منازجرد : بقرب خرت وليست منازكرد القلعة التي من عمل خلاط) . و خصص ابن خلدون في تاريخه , ج4 , ص244 عنوانا (استيلاء الروم على أنطاكيا ثم حلب ثم ملاذكرد) , قال : (وكان ملك الروم قد بعث جيش إلى ملاذكرد من أعمال أرمينه فحاصرها وفتحوها عنوة ورعب أهل الثغور منهم في كل ناحية) .

(70) صقلية : بثلاث كسرات وتشديد اللام و الياء أيضا مشددة , وبعض يقول بالسين , من جزائر بحر المغرب مقابلة أفريقيا , وفيها ثلاث وعشرين مدينة وثلاثة عشر حصنا . و ينظر : الحموي , معجم البلدان , ج3 ,ص416 .

(71) عاشور , الحركة الصليبية , ج1 , ص123 , 125.

(72) ارنست باكر , الحروب الصليبية , ص20 .

(73) حبشي , تاريخ الحروب الصليبية , ص19 .

(74) المصدر السابق , ص20 , 22 .

(75) ارنست باكر , الحروب الصليبية , ص23 , 24 .

(76) عاشور , الحركة الصليبية , ج1 , ص139 , 140.

(77) المصدر السابق , ص153 , 156 .

(78) عاشور , الحركة الصليبية , ج1 , ص153 , 156.

(79) أبو الفداء , عماد الدين اسماعيل بن نور الدين (ت 732هـ) , المختصر في أخبار البشر , (د . ت . د . ط) , ج2 , ص210 , سالم ,عبد العزيز , طرابلس الشام , (بيروت , د . ت) , ث77 .

(80) قليح ارسلان : ابن سليمان بن قتلمش , ملك بعد أبيه وأقام في سلطانه ولما زحف الفرنجة الى سواحل الشام سنة (490هـ) جعلوا طريقهم على القسطنطينية ومروا ببلاد قلبح بن ارسلان فلقيهم في مجموعة قريبا من قونيه فهزموه . تنظر ترجمته : ابن خلدون , العبر , ج5 , ص163 .

(81) ابن القلانسي , ذيل تاريخ دمشق , ص134 , ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة . ج5 , ص160 .

المصـــــــادر

أ- القديمة

1- ابن الاثير , عز الدين , أبو الحسن الشيباني , (ت 630هـ) , الكامل في التاريخ , بيروت , 1966م .

2- البلاذري , احمد بن يحيى بن جابر , (ت 279هـ) , فتوح البلدان , مطبعة الموسوعات , القاهرة , 1901م .

3- ابن تغري بردي , يوسف الأتابكي , (ت 874هـ) , النجوم الزاهرة في تاريخ مصر و القاهرة , مصر , 1352هـ .

4- الحموي , ياقوت ,(ت 626هـ) , معجم البلدان , مج5 . دار أحياء التراث العربي , بيروت .د . ت .

5- ابن خلدون , عبد الرحمن , (ت 808هـ) العبر وديوان المبتدأ و الخبر في العرب والعجم والبربر , مج8 , دار أحياء التراث العربي , بيروت , ط41 . د . ت .
6- ابن خلكان , شمس الدين , أبو العباس , احمد بن محمد (ت 681هـ) , وفيات الأعيان و اخبار ابناء الزمان . تحقيق : أحسان عباس , دار الثقافة , بيروت , 1972م .
7- الذهبي , شمس الدين , أبو الفداء , محمد بن أحمد , (ت 748هـ) , سير أعلام النبلاء , تحقيق : شعيب الارناؤوط و محمد نعيم , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط9 , 1413هـ .
8- السمعاني , أبو سعد , عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت 562هـ) , الأنساب , مج5 , تقديم : عبد الله عمر البارودي , دار الجنان , بيروت , ط1 , 1408هـ .
9- السيوطي , جلال الدين , عبد الرحمن , (ت 911هـ) , لب اللباب في تحرير الأنساب , دار صادر , بيروت . د . ت .
10- ابن عساكر , أبو القاسم , علي بن الحسن بن هبة الله , (ت 571هـ) , تاريخ مدينة دمشق , مج70 , دار الفكر , بيروت , 1415هـ -1995م .
11- ابن العماد الحنبلي , أبو الفلاح , عبد الحي , (ت 1089هـ) , شذرات الذهب في أخبار من ذهب , دار الكتب العلمية , بيروت . د .ت .
12- أبو الفداء . عماد الدين , اسماعيل بن نور الدين , (ت 732هـ) , المختصر في أخبار البشر , د , ت ,د . ط .
13- القرشي , يحيى بن علي , (ت 662هـ) , غرر الفوائد المجموعة , تحقيق : محمد خرشافي , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1417هـ -1996م .
14- ابن القلانسي , أبو يعلي , حمزة , (ت 555هـ) ذيل تاريخ دمشق , تحقيق , امدروز , القاهرة , 1980م .
15- القلقشندي , أبو العباس , أحمد بن علي , (ت 821هـ) , صبح الاعشا في صناعة الانشا , تعليق : محمد حسين شمس الدين , بيروت , 1987م .
16- ابن كثير . أبو الفداء , اسماعيل بن كثير , (ت 774هـ) , البداية والنهاية , تحقيق : علي شيري , دار أحياء التراث العربي , بيروت , ط1 . 1408هـ .
17- كمال الدين بن القاسم , تاريخ حلب , بيروت , 1968م .
18- المسعودي , أبو الحسن , علي بن عبد الحسين بن علي , (ت 346هـ) أخبار الزمان , تحقيق: لجنة من الأساتذة , دار الأندلس , ط2 , 1386هـ .
19- مسكويه , أبو علي , احمد بن محمد (ت 241هـ) , تجارب الأمم , القاهرة , 1915م .
20- المروزي , أبو عبد الله , نعيم بن حماد , (ت 229هـ)كتاب الفن, تحقيق : سهيل زكار , دار الفكر , بيروت , ط1 , 1414هـ .
21- ابن واصل . جمال الدين محمد بن سا لم , مفرج الكروب , القاهرة , 1957م .

ب-الحديثة :

22- ارنست باكر , الحروب الصليبية , ترجمة السيد الباز , القاهرة , د , ت .
23- الأمين , حسن , الاسماعيليون والمغول و نصير الدين الطوسي , مركز الغدير , ط2 , 1417هـ
24- بروكلمان , تاريخ الشعوب الاسلامية , القاهرة , د , ت .
25- حبشي , حسين , تاريخ الحروب الصليبية ,د , ت , د , ط .
26- حبشي , حسين , نور الدين و الصليبيون , القاهرة .1948م .
27- الزركلي , خير الدين , (ت 1410هـ) , الأعلام , مج8 , دار العلم للملايين , بيروت , ط5 , د . ت .
28- زكار , سهيل , تاريخ الحروب الصليبية , دار الفكر , بيروت , 2003م .
29- سالم , عبد العزيز , طرابلس الشام , بيروت , د , ت.
30- عاشور , سعيد عبد الفتاح , أوروبا في العصور الوسطى , التاريخ السياسي , القاهرة , 1961م .
31- عاشور , سعيد عبد الفتاح , الحركه الصليبية , القاهرة , 1963م .
32- عاشور , سعيد عبد الفتاح , الناصر صلاح الدين الأيوبي , سلسلة أعلام العرب , القاهرة , 1965م .
33- عبد القادر , دريد , سياسة صلاح الدين , د , ت , د , ط .
34- فهمي , بدري محمد , العصور العباسية المتأخرة , بغداد , 1981م .
35- كحالة , عمر رضا , معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة , مج3 , دار العلم للملايين , بيروت , ط2 . 1388هـ .
36- مجمع الكنائس الشرقية , قاموس الكتاب المقدي , مكتبة المشغل , بيروت , 1981م.
37- نوري , دريد عبد القادر , سياسة صلاح الدين الأيوبي , في بلاد مصر و الشام والجزيرة , بغداد , 1976م .